بسم الله الرحمن الرحيم

«فتَرَاحَمُوا» ٢٥ ذُو الْقَعْدَةِ ١٤٤٦هـ

عِبَادَ اللهِ: أُوصِي نَفْسِي وَإِيَّاكُمْ بِتَقْوَىٰ اللهِ ﷻ، فَاتَّقُوا اللهَ رَحِمَكُمُ اللهُ، وَاعْتَبِرُوا بِمَنْ مَضَىٰ مِنْ قَبْلِكُمْ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَىٰ الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَىٰ الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾.

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: الرَّحْمَةُ صُورَةٌ مِنْ كَمَالِ الْفِطْرَةِ وَجَمَالِ الْخُلُقِ، تَحْمِلُ صَاحِبَهَا عَلَىٰ الْبِرِّ، أَخْرَجَ الشَّيْخَانِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﵁ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «جَعَلَ اللهُ الرَّحْمَةَ مِائَةَ جُزْءٍ، فَأَمْسَكَ عِنْدَهُ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ، وَأَنْزَلَ فِي الْأَرْضِ جُزْءًا وَاحِدًا، فَمِنْ ذَلِكَ الْجُزْءِ تَتَرَاحَمُ الْخَلَائِقُ، حَتَّىٰ تَرْفَعَ الدَّابَّةُ حَافِرَهَا عَنْ وَلَدِهَا خَشْيَةَ أَنْ تُصِيبَهُ».

عِبَادَ اللهِ: إِنَّ رَبَّكُمْ ﷻ **مُتَّصِفٌ بِالرَّحْمَةِ**، صِفَةٍ لَا تُشْبِهُ صِفَاتِ الْمَخْلُوقِينَ، فَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ، وَخَيْرُ الرَّاحِمِينَ، وَسِعَتْ رَحْمَتُهُ كُلَّ شَيْءٍ، وَعَمَّ بِهَا كُلَّ حَيٍّ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾، أَخْرَجَ الشَّيْخَانِ عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ﵁، أَنَّهُ قَدِمَ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ بِسَبْيٍ، فَإِذَا امْرَأَةٌ مِنَ السَّبْيِ تَبْتَغِي، إِذَا وَجَدَتْ صَبِيًّا فِي السَّبْيِ أَخَذَتْهُ، فَأَلْصَقَتْهُ بِبَطْنِهَا وَأَرْضَعَتْهُ، فَقَالَ لَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَتَرَوْنَ هَذِهِ الْمَرْأَةَ طَارِحَةً وَلَدَهَا فِي النَّارِ؟» قُلْنَا: لَا وَاللهِ، وَهِيَ تَقْدِرُ عَلَىٰ أَنْ لَا تَطْرَحَهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَلَّهُ أَرْحَمُ بِعِبَادِهِ مِنْ هَذِهِ بِوَلَدِهَا».

عِبَادَ اللهِ: الرَّحْمَةُ تَحْصُلُ لِلْمُؤْمِنِينَ الْمُهْتَدِينَ بِحَسَبِ هُدَاهُمْ، فَكُلَّمَا كَانَ نَصِيبُ الْعَبْدِ مِنَ الْهُدَىٰ أَتَمَّ كَانَ حَظُّهُ مِنَ الرَّحْمَةِ أَوْفَرَ، فَبِرَحْمَتِهِ سُبْحَانَهُ شَرَعَ لَهُمُ الْأَوَامِرَ وَالنَّوَاهِيَ، وَجَعَلَ بِرَحْمَتِهِ فِي الدُّنْيَا مَا جَعَلَ مِنَ الْأَكْدَارِ، حَتَّىٰ لَا يَرْكَنُوا إِلَيْهَا فَيَرْغَبُوا عَنْ نَعِيمِ الْآخِرَةِ، وَأَرْسَلَ نَبِيَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ بِالرَّحْمَةِ، فَهُوَ نَبِيُّ الرَّحْمَةِ لِلْعَالَمِينَ، ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾، بَعَثَهُ رَبُّهُ فَسَكَبَ فِي قَلْبِهِ مِنَ الْعِلْمِ وَالْحِلْمِ، وَفِي خُلُقِهِ مِنَ الْإِينَاسِ وَالْبِرِّ، وَفِي طَبْعِهِ مِنَ السُّهُولَةِ وَالرِّفْقِ، وَفِي يَدِهِ مِنَ السَّخَاوَةِ وَالنَّدَىٰ، مَا جَعَلَهُ أَزْكَىٰ عِبَادِ الرَّحْمَنِ رَحْمَةً، وَأَوْسَعَهُمْ عَاطِفَةً، وَأَرْحَبَهُمْ صَدْرًا، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾، وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾.

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: الْإِسْلَامُ رِسَالَةُ خَيْرٍ وَسَلَامٍ وَرَحْمَةٍ لِلْبَشَرِيَّةِ كُلِّهَا، دَعَا إِلَىٰ التَّرَاحُمِ، وَجَعَلَ الرَّحْمَةَ مِنْ دَلَائِلِ كَمَالِ الْإِيمَانِ، وَلَمْ يَقْصُرِ الرَّحْمَةَ عَلَىٰ مَنْ تَعْرِفُ مِنْ قَرِيبٍ أَوْ صَدِيقٍ، وَلَكِنَّهَا رَحْمَةٌ عَامَّةٌ، أَخْرَجَ الشَّيْخَانِ، وَاللَّفْظُ لِمُسْلِمٍ عَنْ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ لَا يَرْحَمِ النَّاسَ لَا يَرْحَمْهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ».

عِبَادَ اللهِ: رَحْمَةُ اللهِ تُسْتَجْلَبُ بِطَاعَتِهِ وَطَاعَةِ رَسُولِهِ ﷺ، وَالِاسْتِقَامَةُ عَلَىٰ أَمْرِ الْإِيمَانِ. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَأَطِيعُوا اللهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾، وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾.

كَمَا تُسْتَجْلَبُ رَحْمَةَ اللهِ بِتَقْوَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ، قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

وَمِنْ جَالِبَاتِ رَحْمَةِ اللهِ: إِقَامُ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ، وَالْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ، وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللهُ إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾.

وَمِنْ أَعْظَمِ مَا تُسْتَجْلَبُ بِهِ رَحْمَةُ اللهِ: رَحْمَةُ عِبَادِهِ. أَخْرَجَ أَحْمَدُ وَأَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ، وَقَالَ: حَسَنٌ صَحِيحٌ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ، ارْحَمُوا مَنْ فِي الْأَرْضِ يَرْحَمْكُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ».

وَتُسْتَجْلَبُ رَحْمَةُ اللهِ تَعَالَىٰ بِالِاسْتِمَاعِ لِلْقُرْآنِ، وَالْإِصْغَاءِ لَهُ. قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾.

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: إِنَّ مِنْ أَوْلَىٰ النَّاسِ بِالرَّحْمَةِ وَأَحَقِّهِمْ بِهَا الْوَالِدَيْنِ. فَبِبِرِّهِمَا تُسْتَجْلَبُ الرَّحْمَةُ، وَبِالْإِحْسَانِ إِلَيْهِمَا تَكُونُ السَّعَادَةُ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا، وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّي ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾.

وَمِمَّنْ تَجِبُ رَحْمَتُهُ الْأَوْلَادُ، فَلَذَاتُ الْأَكْبَادِ. أَخْرَجَ أَحْمَدُ وَالْبُخَارِيُّ عَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَأْخُذُنِي فَيُقْعِدُنِي عَلَىٰ فَخِذِهِ، وَيُقْعِدُ الْحَسَنَ عَلَىٰ فَخِذِهِ الْأُخْرَىٰ، ثُمَّ يَضُمُّهُمَا، ثُمَّ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ ارْحَمْهُمَا فَإِنِّي أَرْحَمُهُمَا».

وَمِمَّنْ تَجِبُ رَحْمَتُهُ الزَّوْجَاتُ. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾.

وَمِنْ مَوَاطِنِ الرَّحْمَةِ إِحْسَانُ مُعَامَلَةِ الْخَدَمِ، وَالتَّرَفُّقُ بِهِمْ فِيمَا يُكَلَّفُونَ بِهِ مِنْ أَعْمَالٍ، وَالتَّجَاوُزُ عَنْ هَفَوَاتِهِمْ، وَلْيَحْذَرِ الْمَرْءُ مِنْ سَطْوَةِ التَّصَرُّفِ، فَيُسَخِّرَهُمْ وَيُسَخِّرَ مِنْهُمْ، فَإِنَّ اللهَ إِذَا مَلَّكَ أَحَدًا شَيْئًا فَاسْتَبَدَّ بِهِ وَأَسَاءَ سَلَبَهُ مَا مَلَكَ، وَيُخْشَىٰ عَلَيْهِ مِنْ سُوءِ الْمُنْقَلَبِ، أَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: خَدَمْتُ النَّبِيَّ ﷺ عَشْرَ سِنِينَ، فَمَا قَالَ لِي: أُفٍّ، وَلَا: لِمَ صَنَعْتَ؟ وَلَا: أَلَّا صَنَعْتَ؟. وَأَخْرَجَ مُسْلِمٌ عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ الْبَدْرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: كُنْتُ أَضْرِبُ غُلَامًا لِي بِالسَّوْطِ، فَسَمِعْتُ صَوْتًا مِنْ خَلْفِي، «اعْلَمْ، أَبَا مَسْعُودٍ»، فَلَمْ أَفْهَمِ الصَّوْتَ مِنَ الْغَضَبِ، قَالَ: فَلَمَّا دَنَا مِنِّي إِذَا هُوَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَإِذَا هُوَ يَقُولُ: «اعْلَمْ، أَبَا مَسْعُودٍ، اعْلَمْ، أَبَا مَسْعُودٍ»، قَالَ: فَأَلْقَيْتُ السَّوْطَ مِنْ يَدِي، فَقَالَ: «اعْلَمْ، أَبَا مَسْعُودٍ، أَنَّ اللهَ أَقْدَرُ عَلَيْكَ مِنْكَ عَلَىٰ هَذَا الْغُلَامِ»، قَالَ: فَقُلْتُ: لَا أَضْرِبُ مَمْلُوكًا بَعْدَهُ أَبَدًا.

وَمِمَّنْ تَتَطَلَّبُ حَالَتُهُمُ الرَّحْمَةَ: الْمَرْضَىٰ وَذَوُو الْعَاهَاتِ وَالْإِعَاقَاتِ. فَالْحَذَرَ مِنَ الْإِسَاءَةِ إِلَيْهِمْ، أَوِ الِاسْتِهَانَةِ بِمُتَطَلَّبَاتِ رَاحَتِهِمْ، فَإِنَّ الْقَسْوَةَ مَعَهُمْ جُرْمٌ عَظِيمٌ. أَخْرَجَ الطَّبَرَانِيُّ فِي «مَعَاجِمِهِ الثَّلَاثَةِ»، وَحَسَّنَهُ الْعَلَّامَةُ الْأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللهُ فِي «صَحِيحِ الْجَامِعِ»، عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، أَنَّ رَجُلًا جَاءَ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ: أَيُّ النَّاسِ أَحَبُّ إِلَىٰ اللهِ؟ وَأَيُّ الْأَعْمَالِ أَحَبُّ إِلَىٰ اللهِ ﷻ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَحَبُّ النَّاسِ إِلَىٰ اللهِ أَنْفَعُهُمْ لِلنَّاسِ، وَأَحَبُّ الْأَعْمَالِ إِلَىٰ اللهِ سُرُورٌ تُدْخِلُهُ عَلَىٰ مُسْلِمٍ، أَوْ تَكْشِفُ عَنْهُ كُرْبَةً، أَوْ تَقْضِي عَنْهُ دَيْنًا، أَوْ تَطْرُدُ عَنْهُ جُوعًا، وَلَأَنْ أَمْشِيَ مَعَ أَخٍ لِي فِي حَاجَةٍ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَعْتَكِفَ فِي هَذَا الْمَسْجِدِ، يَعْنِي مَسْجِدَ الْمَدِينَةِ، شَهْرًا، وَمَنْ كَفَّ غَضَبَهُ سَتَرَ اللهُ عَوْرَتَهُ، وَمَنْ كَظَمَ غَيْظَهُ وَلَوْ شَاءَ أَنْ يُمْضِيَهُ أَمْضَاهُ، مَلَأَ اللهُ ﷻ قَلْبَهُ أَمْنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ مَشَىٰ مَعَ أَخِيهِ فِي حَاجَةٍ حَتَّىٰ أَثْبَتَهَا لَهُ أَثْبَتَ اللهُ ﷻ قَدَمَهُ عَلَىٰ الصِّرَاطِ يَوْمَ تَزِلُّ فِيهِ الْأَقْدَامُ».

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: تَعَالِيمُ الْإِسْلَامِ وَآدَابُ الدِّينِ فِي هَذَا الْبَابِ تَتَجَاوَزُ الْإِنْسَانَ النَّاطِقَ إِلَىٰ الْبَهَائِمِ الْعَجْمَاوَاتِ. فَجَنَّاتُ عَدْنٍ تُفَتَّحُ أَبْوَابُهَا لِامْرَأَةٍ بَغِيٍّ سَقَتْ كَلْبًا، فَغَفَرَ اللهُ لَهَا، وَنَارُ جَهَنَّمَ فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا لِامْرَأَةٍ حَبَسَتْ هِرَّةً حَتَّىٰ مَاتَتْ، لَا هِيَ أَطْعَمَتْهَا وَسَقَتْهَا، وَلَا هِيَ تَرَكَتْهَا تَأْكُلُ مِنْ خَشَاشِ الْأَرْضِ، بَلْ تترَقَّىٰ تَعَالِيمُ دِينِنَا فِي الرَّحْمَةِ بِالْبَهَائِمِ، حَتَّىٰ فِي حَالِ ذَبْحِهَا، وَالْمَشْرُوعِ مِنْ قَتْلِهَا، أَخْرَجَ مُسْلِمٌ عَنْ شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: ثِنْتَانِ حَفِظْتُهُمَا عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، قَالَ: «إِنَّ اللهَ كَتَبَ الْإِحْسَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ، فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَةَ، وَإِذَا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذِّبْحَ، وَلْيُحِدَّ أَحَدُكُمْ شَفْرَتَهُ، فَلْيُرِحْ ذَبِيحَتَهُ».

عِبَادَ اللهِ: بِالرَّحْمَةِ تَجْتَمِعُ الْقُلُوبُ، وَبِالرِّفْقِ تَتَآلَفُ النُّفُوسُ، وَالْقَلْبُ يَتَبَلَّدُ مَعَ اللَّهْوِ الطَّوِيلِ، وَالْمَرَحِ الدَّائِمِ، لَا يَشْعُرُ بِحَاجَةِ مُحْتَاجٍ، وَلَا يُحِسُّ بِأَلَمِ مُتَأَلِّمٍ، وَلَا يُشَاطِرُ فِي بُؤْسِ بَائِسٍ، وَلَا حُزْنِ مَحْزُونٍ. وَمَعَ ذَلِكَ فَالرَّحْمَةُ لَيْسَتْ حَنَانًا لَا عَقْلَ مَعَهُ، وَلَيْسَتْ شَفَقَةً تَتَنَكَّرُ لِلْعَدْلِ وَالنِّظَامِ، كَلَّا، بَلْ إِنَّهَا خُلُقٌ يَرْعَىٰ الْحُقُوقَ كُلَّهَا، فَالشِّدَّةُ عَلَىٰ الْكَافِرِينَ فِي مُقَابِلِ الرَّحْمَةِ بِالْمُؤْمِنِينَ

فِي قَوْلِ اللهِ ﷻ: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَىٰ الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾، وَالْحَقُّ أَنَّ الْإِسْلَامَ قَدْ جَاءَ بِالرَّحْمَةِ الْعَامَّةِ، لَا يُسْتَثْنَىٰ مِنْهَا إِنْسَانٌ وَلَا دَابَّةٌ وَلَا طَيْرٌ، بَيْدَ أَنَّ هُنَاكَ مِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ مَنْ يَكُونُ مَصْدَرَ خَطَرٍ، وَمَثَارَ رُعْبٍ، فَتَكُونُ مَصْلَحَةُ الْجَمَاعَةِ كُلُّهَا أَنْ يُحْبَسَ شَرُّهُ، وَيُكَفَّ ضَرَرُهُ، بَلْ إِنَّ الشِّدَّةَ مَعَهُ رَحْمَةٌ بِهِ وَبِغَيْرِهِ.

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: مِنَ الرَّحْمَةِ مَا هُوَ مَذْمُومٌ، وَهُوَ مَا كَانَ سَبَبًا فِي فَسَادِ الْمَرْحُومِ وَهَلَاكِهِ، كَمَا يَفْعَلُ كَثِيرٌ مِنَ الْآبَاءِ مِنْ تَرْكِ تَرْبِيَةِ الْأَبْنَاءِ وَتَأْدِيبِهِمْ وَعُقُوبَتِهِمْ رَحْمَةً بِهِمْ، وَعَطْفًا عَلَيْهِمْ، زَعَمُوا! فَيَتَسَبَّبُونَ فِي فَسَادِهِمْ وَهَلَاكِهِمْ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ. أَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ فِي «الْأَدَبِ الْمُفْرَدِ»، وَصَحَّحَهُ الْعَلَّامَةُ الْأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللهُ، عَنْ شُمَيْسَةَ الْعَتَكِيَّةِ قَالَتْ: ذُكِرَ أَدَبُ الْيَتِيمِ عِنْدَ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، فَقَالَتْ: إِنِّي لَأَضْرِبُ الْيَتِيمَ حَتَّىٰ يَنْبَسِطَ. وَأَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ أَيْضًا فِي «الْأَدَبِ الْمُفْرَدِ»، وَصَحَّحَهُ الْعَلَّامَةُ الْأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللهُ، عَنْ أَسْمَاءَ بْنِ عُبَيْدٍ قَالَ: قُلْتُ لِابْنِ سِيرِينَ: عِنْدِي يَتِيمٌ، قَالَ: اصْنَعْ بِهِ مَا تَصْنَعُ بِوَلَدِكَ، اضْرِبْهُ مَا تَضْرِبُ وَلَدَكَ. قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ اللهُ فِي «مَجْمُوعِ الْفَتَاوَىٰ»: مِنَ الْمَعْلُومِ أَنَّ أَلَمَ الْعِلَاجِ النَّافِعِ أَيْسَرُ وَأَخَفُّ مِنْ أَلَمِ الْمَرَضِ الْبَاقِي؛ وَبِهَذَا يَتَبَيَّنُ لَكَ أَنَّ الْعُقُوبَاتِ الشَّرْعِيَّةَ كُلَّهَا أَدْوِيَةٌ نَافِعَةٌ، يُصْلِحُ اللهُ بِهَا مَرَضَ الْقُلُوبِ، وَهِيَ مِنْ رَحْمَةِ اللهِ بِعِبَادِهِ، وَرَأْفَتِهِ بِهِمُ الدَّاخِلَةِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾، فَمَنْ تَرَكَ هَذِهِ الرَّحْمَةَ النَّافِعَةَ لِرَأْفَةٍ يَجِدُهَا بِالْمَرِيضِ فَهُوَ الَّذِي أَعَانَ عَلَىٰ عَذَابِهِ وَهَلَاكِهِ، وَإِنْ كَانَ لَا يُرِيدُ إِلَّا الْخَيْرَ؛ إِذْ هُوَ فِي ذَلِكَ جَاهِلٌ أَحْمَقُ، كَمَا يَفْعَلُهُ بَعْضُ النِّسَاءِ وَالرِّجَالِ الْجُهَّالِ بِمَرْضَاهُمْ، وَبِمَنْ يُرَبُّونَهُ مِنْ أَوْلَادِهِمْ وَغِلْمَانِهِمْ وَغَيْرِهِمْ، فِي تَرْكِ تَأْدِيبِهِمْ وَعُقُوبَتِهِمْ عَلَىٰ مَا يَأْتُونَهُ مِنَ الشَّرِّ، وَيَتْرُكُونَهُ مِنَ الْخَيْرِ، رَأْفَةً بِهِمْ، فَيَكُونُ ذَلِكَ سَبَبَ فَسَادِهِمْ، وَعَدَاوَتِهِمْ وَهَلَاكِهِمْ. وَقَالَ الْعَلَّامَةُ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللهُ فِي «إِغَاثَةِ اللَّهْفَانِ»: وَمِمَّا يَنْبَغِي أَنْ يُعْلَمَ: أَنَّ الرَّحْمَةَ صِفَةٌ تَقْتَضِي إِيصَالَ الْمَنَافِعِ وَالْمَصَالِحَ إِلَىٰ الْعَبْدِ، وَإِنْ كَرِهَتْهَا نَفْسُهُ، وَشَقَّتْ عَلَيْهَا، فَهَذِهِ هِيَ الرَّحْمَةُ الْحَقِيقِيَّةُ، فَأَرْحَمُ النَّاسِ بِكَ مَنْ شَقَّ عَلَيْكَ فِي إِيصَالِ مَصَالِحِكَ، وَدَفْعِ الْمَضَارِّ عَنْكَ. **فَمِنْ رَحْمَةِ الْأَبِ بِوَلَدِهِ**: أَنْ يُكْرِهَهُ عَلَىٰ التَّأَدُّبِ بِالْعِلْمِ وَالْعَمَلِ، وَيُشِقَّ عَلَيْهِ فِي ذَلِكَ بِالضَّرْبِ وَغَيْرِهِ، وَيَمْنَعَهُ شَهَوَاتِهِ الَّتِي تَعُودُ بِضَرَرِهِ، وَمَتَىٰ أَهْمَلَ ذَلِكَ مِنْ وَلَدِهِ كَانَ لِقِلَّةِ رَحْمَتِهِ بِهِ، وَإِنْ ظَنَّ أَنَّهُ يَرْحَمُهُ وَيُرَفِّهُهُ وَيُرِيحُهُ، فَهَذِهِ رَحْمَةٌ مَقْرُونَةٌ بِجَهْلٍ، كَرَحْمَةِ الْأُمِّ؛ وَلِهَذَا كَانَ مِنْ تَمَامِ رَحْمَةِ أَرْحَمِ الرَّاحِمِينَ: تَسْلِيطُ أَنْوَاعِ الْبَلَاءِ عَلَىٰ الْعَبْدِ؛ فَإِنَّهُ أَعْلَمُ بِمَصْلَحَتِهِ، فَابْتِلَاؤُهُ لَهُ، وَامْتِحَانُهُ، وَمَنْعُهُ مِنْ كَثِيرٍ مِنْ أَغْرَاضِهِ وَشَهَوَاتِهِ، مِنْ رَحْمَتِهِ بِهِ، وَلَكِنَّ الْعَبْدَ لِجَهْلِهِ وَظُلْمِهِ يَتَّهِمُ رَبَّهُ بِابْتِلَائِهِ، وَلَا يَعْلَمُ إِحْسَانَهُ إِلَيْهِ بِابْتِلَائِهِ وَامْتِحَانِهِ.